بسم الله الرحمن الرحيم

مقولة القاضي الجرجاني

كثيرا ما يستشهد النقاد بمقولة القاضي الجرجاني «والشعر بمعزل عن الدين» ، وما أكثر من يفهمها ويفسرها تفسيرا خاطئا يلائم هوى الناقد وموقفه من العلاقة بين الشعر والدين، وقد يعممه على العلاقة بين الأدب والدين.

ويريد أصحاب التفسير الخاطئ أن يجعلوا من مقولة القاضي الجرجاني حجة يفصلون بها الشعر عن الدين مما يجيز أن يُطلق العنان للشاعر دونما وازع من دين أو خلق، ودونما حدود من قانون أو سلطة يقف دونها الشاعر.

ومن العجيب أنهم ينقلون قول القدماء: «يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره» من حيز التجاوز اللغوي فيما يدخل في ضرورات الشعر إلى حيز التجاوز الديني والخلقي بحجة حرية الشاعر وجموح الإبداع.

ومن هؤلاء من يحتج بأن الشاعر لا يقام عليه الحد بقوله دون فعله، ويستشهدون على ذلك بخبر والي ميسان في قوله: لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا في الجوسق المتهدم

وهو يعني بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يقم الحد على الوالي الشاعر ناظرا إلى قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

والحقيق أن عمر رضي الله عنه وإن لم يقم الحد على الوالي فإنه عزله عن الإمارة، وفي ذلك دلالة واضحة أن الإسلام لا يقبل الخروج عن الدين قولا أو فعلا.

وما أدري كيف يوفق هؤلاء الناس الخاطئون بين تفسيرهم لمقولة القاضي الجرجاني وبين قوله تعالى في سورة ق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾. ثم أين يذهبون عن قول الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: (وهل يكب الناس في النار على وجوههم... إلا حصائد ألسنتهم).

ونحن لا نجد في القرآن الكريم والحديث الشريف استثناء للشاعر من أن يؤاخذ بما يقول، وهل الشعر مهما علا واستجاد إلا ضرب من الكلام؟!..

وقصارى ما أراده القاضي الجرجاني- وهو قاض لا يمكن أن يقول ما يأباه الدين- أن الموهبة الشعرية والإبداع الشعري هما بمعزل عن الدين. وهذا يعني أن موهبة الشعر والقدرة على الإبداع لا يتوقفان على دين الشاعر أو تفلته من الدين.

ومن هنا نجد من بين كبار الشعراء من هو مطعون في دينه، أو في سيرته، دون أن يقلل ذلك من قدرته على تجويد الشعر فنيا، وهذا ما أشار إليه القاضي الجرجاني في استشهاده بأبي نواس وأمثاله، ولكن هذه الإجادة لا تعني ألا يؤاخذ الشاعر بمخالفته ثوابت الدين فيما يقوله سواء كان الإنكار من النقاد الملتزمين أم من جمهرة المؤمنين أم من سلطة الدولة التي يأتي من أولى واجباتها صيانة حرمات الدين والدفاع عن حوزة الإسلام .

رئيس التحرير